668471 ـ ما وجه اختصاص "سورة الملك" بفضل تلاوتها قبل النوم؟

السؤال

لما اختصت "سورة الملك" بفضل تلاوتها قبل النوم؟

ملخص الإجابة

لعل مناسبة فضل سورة الملك: أنّها تقوي في نفس تاليها ومتدبرها اليقين بتمام ملك الله تعالى، وكمال تصرفه في خلقه، فيورث هذا فيه تمام الخضوع والتوكل على الله في أمر آخرته والله تعالى عند ظن عبده به.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا:

ورد خبر في سنية قراءة "سورة الملك" قبل النوم:

حيث روى الإمام أحمد في "المسند" (23 / 26)، والبخاري في "الأدب المفرد" (1209)، والنسائي في "السنن الكبرى" (10475)، والترمذي (2892) و (3404)، وغيرهم: عَنْ لَيْث بْن أَبِي سُلَيْمٍ.

ورواه البخاري في "الأدب المفرد" (1207)، والنسائي في "السنن الكبرى" (10474): عن الْمُغِيرَة بْنُ مُسْلِم الْخُرَاسَانِيّ.

= يرويانه (لَيْث بْن أَبِي سُلَيْمٍ، والْمُغِيرَةُ بْنُ مُسْلِمٍ): عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ: الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ، وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ).

لكن ليث بن أبي سليم قد تُكلِّم فيه من جهة ضبطه، وضُعِّف.

قال الذهبي رحمه الله تعالى:

"ليث بن أبي سليم الليثيّ: قال أحمد: مضطرب الحديث، ولكن حدثّ عنه النّاس. وقال ابن معين، والنّسائيّ: ضعيف. وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره. وقال ابن معين أيضا: لا بأس به" انتهى. "المغني في الضعفاء" (2 / 536).

وأمّا المغيرة بن مسلم فهو صدوق، حسن الحديث؛ كما لخص حاله الحافظان الذهبي وابن حجر، في "الكاشف" (2 / 288)، و"تقريب التهذيب" (ص 543).

إلّا أنه ضُعِّف في حديثه عن أبي الزبير.

جاء في "سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين" (ص459):

"سأل ابنُ أبي غالب يحيى بنَ معين، وأنا شاهد، عن المغيرة بن مسلم القسمليّ، فقال يحيى: ما أنكر حديثه عن أبي الزّبير" انتهى.

وقال النسائي رحمه الله تعالى:

"المغيرة بن مسلم: ليس بالقويّ في أبي الزّبير، وعنده غير حديث منكر" انتهى. "السنن الكبرى" (7 / 40).

وقد خالفهما من هو أوثق منها، فبيّن أنّ أبا الزبير لم يرو هذا الحديث عن جابر.

فروى أبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص251)، والنسائيّ في "السنن الكبرى" (10477)، وغيرهما: عَنْ أَبِي خَيْثَمَةَ زُهَير بن معاوية، قَالَ: "سَأَلْتُ أَبَا الزُّبَيْرِ: أَسَمِعْتَ جَابِرًا يَذْكُرُ: (أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الم تَنْزِيلُ وَتَبَارَكَ)؟ قَالَ: لَيْسَ جَابِرٌ حَدَّثَنِيهِ، وَلَكِنْ حَدَّثَنِي صَفْوَانُ أَوْ ابْنُ صَفْوَانَ" انتهى.

قال الترمذيّ عقب الحديث (2892): "وكأنّ زهيرا أنكر أن يكون هذا الحديث عن أبي الزّبير، عن جابر" انتهى.

وقد سُئِل الدارقطني رحمه الله تعالى:

"عن حديث أبي الزّبير، عن جابر، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ: الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ، وَ تَبَارَكَ).

فقال: ... رواه داود بن عيسى، وورقاء، وشيبان، وحسن بن صالح بن حيّ، وموسى بن أعين ...: عن ليث، عن أبي الزّبير، عن جابر.

وتابعهم زهير بن معاوية، فرواه عن ليث، عن أبي الزّبير، عن جابر، ثمّ قال: فقلت لأبي الزّبير: أسمعت جابرا؟ فقال: ليس جابر حدّثني، ولكن صفوان، أو ابن صفوان، عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

وقول زهير أشبه بالصّواب من قول ليث، ومن تابعه" انتهى. "علل الدارقطني" (13 / 340 ـ 341).

فعلى ذلك: يكون الحديث مرسلا منقطع الإسناد، كما نص على هذا الحافظ ابن حجر، حيث قال رحمه الله تعالى:

"قال الترمذيّ: غريب رواه غير واحد عن ليث، وتابعه مغيرة بن مسلم، عن أبي الزّبير.

وقال زهير بن معاوية: قلت لأبي الزّبير: سمعت جابرا بهذا؟ فقال: إنما أخبرنيه صفوان، أو ابن صفوان عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وأنكر أن يكون عن جابر.

قلت: زهير هذا هو أبو خيثمة الجعفيّ الكوفيّ، وهو من كبار الحفاظ الأثبات، وكأنّ ليثا ومغيرة سلكا الجادّة؛ لأنّ أبا الزّبير مكثر عن جابر...

وعلى هذا فهو مرسل، أو معضل" انتهى. "نتائج الأفكار" (3 / 267).

وقال السخاويّ رحمه الله تعالى:

"لكن للحديث علّة وهي: أن أبا الزّبير مدلّس، وقد روي عن أبي خيثمة زهير بن معاوية أحد المذكورين قال: قلت لأبي الزّبير: أسمعت جابرا يذكر: (أنّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ: الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ، وَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ)؟ قال: ليس جابر حدّثنيه، حدّثني صفوان، أو ابن صفوان ـ شكّ أبو خيثمة ـ عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

... وحينئذ فالحديث مرسل، لأنّ صفوان هو ابن عبد الله بن صفوان بن أميّة تابعيّ" انتهى. "الأجوبة المرضية" (2 / 459).

فالحاصل؛ أن إسناد هذا الحديث لم تثبت صحته.

ثانيا:

مما جاء في فضائل سورة "الملك": ما رواه الإمام أحمد في "المسند" (13 / 353)، وأبو داود (1400)، والنسائي في "السنن الكبرى" (10478)، والترمذي (2891)، وابن ماجه (3786)، وابن حبان "الإحسان" (3/ 67)، وغيرهم: عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبَّاسٍ الْجُشَمِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ، ثَلَاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ).

وقال الترمذي عقبه: "هذا حديث حسن" انتهى.

لكن في إسناده عَبَّاس الْجُشَمِيّ، ولم يرد فيه توثيق معتبر، إلّا ذكر ابن حبان له في كتابه "الثقات".

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:

"روى عن: عثمان، وأبي هريرة.

وعنه: قتادة، وسعيد الجريري.

ذكره ابن حبان في "الثقات".

أخرجوا له حديثا واحدا في فصل سورة تبارك" انتهى. "تهذيب التهذيب" (2 / 297).

ومن أهل العلم من صحح أو حسن هذه الأخبار بمجموعها ورأى أنها تقوي بعضها بعضا.

قال الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى " (22 / 277)، وقال ابن الملقن في البدر المنير (3/ 562): هَذَا الحَدِيث صَحِيح. وصححه أيضا: الشيخ الألباني في " صحيح ابن ماجه " (3053)، وحسنه محققو المسند، ط الرسالة (13/353) بشواهده، وساقوها هناك. وتوسع في تخريجه – وحسنه – الشيخ ياسر آل عيد، حفظه الله، في "فضل الرحيم الودود" (16/484) وما بعدها.

وانظر جواب السؤال رقم 26240 ورقم 507392

وقد اشتهر عند السلف مع اختلاف بلدانهم أن لهذه السورة فضلا خاصا.

فروى عبد الرزاق في "المصنف" (4 / 114)، وابن ضريس في "فضائل القرآن" (ص105)، وغيرهما: عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ زِرِّبْنِ حُبَيْشٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: (يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ، فَتُؤْتَى رِجْلَاهُ، فَتَقُولَانِ: لَيْسَ لكُمْ عَلَى مَا قِبَلَنَا سَبِيلٌ، كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْنَا سُورَةَ الْمُلْكِ. ثُمَّ يُؤْتَى جَوْفُهُ، فَيَقُولُ: لَيْسَ لكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ، كَانَ قَدْ أَوْعَى فِي سُورَةِ الْمُلْكِ. ثُمَّ يُؤْتَى رَأْسُهُ، فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ، كَانَ يَقْرَأُ فِيَّ سُورَةَ الْمُلْكِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَهِيَ الْمَانِعَةُ تَمْنَعُ عَذَابَ الْقَبْرِ، وَهِيَ فِي التَّوْرَاةِ: هَذِهِ سُورَةُ الْمُلْكِ؛ مَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ، فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْيَبَ).

وهذا القول لا يقوله ابن مسعود من رأيه واجتهاده؛ إلا أنه يخشى أن يكون سمعه من بعض من كان يحدث عن أهل الكتاب، كما تشير آخر الرواية: (وَهِيَ فِي التَّوْرَاةِ: هَذِهِ سُورَةُ الْمُلْكِ مَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ، فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْيَبَ).

وروى الإمام مالك في "الموطأ" (1 / 208): عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: (أَنَّ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ تُجَادِلُ عَنْ صَاحِبِهَا).

وروى عبد الرزاق في "المصنف" (4 / 116): عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ: (أَنَّ رَجُلَيْنِ فِيمَا مَضَى، كَانَ يَلْزَمُ أَحَدُهُمَا تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ فَجَادَلَتْ عَنْهُ حَتَّى نَجَا).

ثالثا:

لا شك أن الفضل المذكور في السنة لهذه السورة الكريمة، ونظائرها: إنما هو لمن يتلو السورة مؤمنا بها، موقنا بخبر الله فيها؛ لأن من يتلوها بلا اعتقاد بما فيها ستكون حجة عليه، كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم (223): عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ).

سُئِل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى:

"ماذا نردّ على الذين لديهم مُخالفات شرعية، ويقول منهم: إنني أقرأ سورة الملك كل ليلةٍ، وهي مُنجية من عذاب القبر، وبالتالي من عذاب الآخرة، فهل هذا يكفيه؟

فأجاب: هذه السورة سورة عظيمة، سورة تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ، وجاء فيها حديث أنّها شفعت لصاحبها، والمراد بذلك ـ إذا سلم الحديث من العلل ـ أنّه عمل بها، وأدّى حقّها، فشفعت، والقرآن يشفع لأهله يوم القيامة؛ القرآن الكريم يشفع لأهله يوم القيامة إذا عملوا به، أما إذا ضيّعوه، صار حجّة عليهم، كما قال النبيّ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: (وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ)، فالقرآن حجّة لأهله إذا عملوا به، واستقاموا على ما أمرهم به القرآن، وحافظوا عليه، ومَن ضيّع ذلك ولم يستقم؛ صار حجة عليه، ومن أسباب دخوله النار.

فالواجب على المؤمن والمؤمنة: العناية بالقرآن، والعمل به، فمَن عمل به؛ صار شفيعا له إلى الجنة، ومَن ضيّعه؛ صار شفيعا عليه، وخصما له إلى النار، نسأل الله العافية" انتهى. من "موقع الشيخ".

رابعًا:

لعلّ مناسبة تلاوة سورة الملك، لهذا الفضل الوارد في الأخبار السابقة= أن السورة كاسمها، موضوعها عن تفرّد الله سبحانه وتعالى بالملك، فيتيقن تاليها أنه لا يخرج عن ملك الله وقدرته شيء؛ وأنه لا هادي له في هذه الدنيا إلا الله تعالى، ولا منجي له يوم القيامة إلا الله تعالى، فيخلص في خضوعه لله تعالى، وتوكله عليه سبحانه وتعالى، والله عند ظن عبده به، فيكون عمله بهذه السورة حجة له يوم القيامة.

قال برهان الدين البقاعي رحمه الله تعالى:

"مقصودها [أي سورة الملك] الخضوع لله، لاتّصافه بكمال الملك ...

واسمها "الملك": واضح في ذلك ...

وكذا اسمها المانعة والواقية والمنجية؛ لأن الخضوع حامل على لزوم طريق السعادة؛ ومن لزمها نجا مما يخاف، ومُنع من كل هول، ووقي كلَّ مخلوق، وتردّ السّؤال عمّن لازم عليها؛ وهذا من أهمّ الأمور" انتهى. "نظم الدرر" (20 / 215 ـ 216).

الخلاصة:

لعل مناسبة فضل سورة الملك: أنّها تقوي في نفس تاليها ومتدبرها اليقين بتمام ملك الله تعالى، وكمال تصرفه في خلقه، فيورث هذا فيه تمام الخضوع والتوكل على الله في أمر آخرته والله تعالى عند ظن عبده به.

والله أعلم.